# الفصل الرابع

## خصائص أسلحة اللاعنف

١- الانطلاق من نظرية القوة الجماعية.
٢- الالتزام بالمسار اللاعنيف.
٣- الجاهزية لمواجهة القمع.
٤- العلانية.
٥- إدارة الحوار.
٦- تحرير العقول والمشاعر.
٧- الصورة الحضارية.
٨- تنبع من ثقافة المجتمع.
٩- الرمزية.
١٠- التنوع.

obeikandl.com

### ١- الانطلاق من نظرية القوة الجماعية

يعد اللاعنف أحد أهم الأساليب التي يمكن لقوى التغيير والمقاومة تبنيها لإحداث التغيير السياسي، حيث تذخر حركة اللاعنف بترسانة ضخمة من الأسلحة المختلفة التي يمكن استخدامها لشن الحرب على الخصوم السياسيين.

وتنطلق جميع الأسلحة الموجودة في هذه الترسانة - والتي سنستعرض بعضًا منها في الباب التالي من هذا الكتاب - من نظرية القوة غير الذاتية أو القوة متعددة المصادر التي تناولها جين شارب في بعض كتبه، وتناولتها أكاديمية التغيير في كتاب «**حرب اللاعنف.. الخيار الثالث**» بالشرح والتوضيح، وتفترض هذه النظرية:

* إن الكثير من أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة بيد الشعب (**الكثرة**)، ويمكنه استخدامها لمعاقبة الحكومة وإصابتها بالمجاعة السياسية. وحتى إن امتلك النظام أية أدوات قمعية فإنه لا يمكنه استخدامها إلا بتعاون وموافقة الأطراف التي ستستخدم هذه الأدوات، وهذه الأطراف هي جزء من نسيج المجتمع.

* إن قوة الحكومة غير ذاتية وتصدر من الكثرة في جذور هرم السلطة.

* إن القوة هشة في يد الحاكم يمكن تفكيكها والتحكم فيها بسحب التعاون بين قاعدة الهرم ورأس السلطة في أعلى الهرم.

* إن الحكومة لا تتحكم في القوة السياسية بشكل كلي، أو مباشر.

* إنه لا سبيل أمام الحكومة (**القلة**) إلا الاعتماد على الشعب والمؤسسات (**الكثرة**) في إدارة شئون الدولة.

* إن اتجاه القوة صاعد من أسفل إلى أعلى. فالشعب هو الذي يمارس الضغط على النظام.

فأصحاب هذه النظرية يرون أن القوة السياسية تعتمد في بقائها وقوتها على التزود بها من مصادرها، من خلال تعاون حشود الجماهير والمؤسسات، ونظرًا لأن القوة موزعة بين مجموعات ومؤسسات كثيرة في المجتمع فإن السيطرة عليها من قبل الديكتاتوريات أمر صعب، وتعتمد على إمكانية الحاكم في توجيه سلوك الناس.

**وهكذا فإن قوام الفعل السياسي في هذه النظرية أمران:**

١. **إصابة الحاكم بالمجاعة السياسية**: أي عزله عن مصادر قوته عبر التحكم فيها وتفكيك الروابط بين الحاكم ومصادر القوة[١]، ورد التحكم في القوة إلى مكانه الطبيعي بين أفراد ومؤسسات المجتمع الذي تقوم السلطة التنفيذية على خدمته وتسهر على رعايته.

٢. **التأثير في وعي الحاكم بموازين القوى**: فعبر التحكم في مصادر القوة وسحب التعاون التام ينقلب وعي الحاكم بموازين القوى، وتصبح قوى القمع – أداة القوة الرئيسة في الأنظمة الديكتاتورية – غير فعالة في مواجهة الشعب اللامتعاون بهيئاته ومؤسساته وأفراده وبالتالي تنكسر إرادة الحاكم وتتحول القوة إلى مكانها الطبيعي في مجتمع اللاعنف.

(١) لا يعني تفكيك مصادر القوة بالضرورة تفكيك مؤسسات الدولة؛ إذ أن القوة السياسية تتفكك في حالة سحب الشعب التعاون والطاعة، ومع ذلك تظل المؤسسات قائمة لا تتأثر، فالمؤسسة العسكرية موجودة، ولا يصاب جنودها أو منشآتها بالأذى، وكذلك تبقى المدن والمصانع والمباني الحكومية، ورغم ثبات هذه = = البنى وبقائها كما هي، إلا أن كل شيء بالفعل قد تغير، لأن قوة النظام انحلت، وحينها ندرك أنه في الوقت الذي يدمر فيه العنف مؤسسات الدولة، فإن حرب اللاعنف تحافظ عليها، وبينما يصوب العنف سهامه صوب الحاكم، فإن اللاعنف يتجاهله، ويقتل الخوف في نفوس الجمهور.

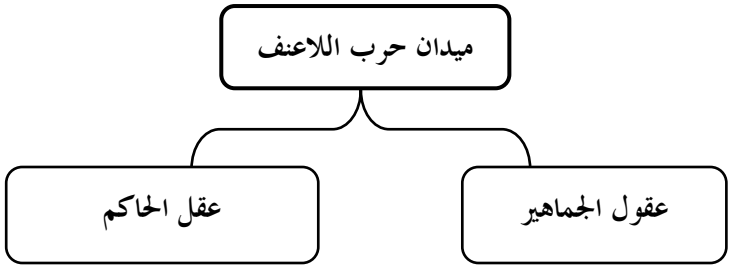


**شكل٥: في حرب اللاعنف، الميدان الأول والأساسي هو ميدان العقول وكيفية تصورها لطبيعة القوة**

وانطلاقًا من هذه النظرية وفرضياتها يتم بناء ترسانة أسلحة حرب اللاعنف لتكون قادرة على إصابة القلة الحاكمة بالمجاعة السياسية والتأثير في وعيهم بموازين القوي.

### ٢- الالتزام بالمسار اللاعنيف

وتتميز حرب اللاعنف أيضا بتقديرها لأهمية التزام أسلحتها بالمسار اللاعنيف، حيث أن المنتج النهائي الذي يجب أن يسعى إليه المجتمع هو تمدين الصراع السياسي، من خلال إشراك الجماهير في إعادة توزيع القوة، وعدم السماح لعودة الديكتاتورية مرة أخرى. فنشطاء اللاعنف يخوضون بالأساس حرب بناء مجتمع قوي، لا السيطرة على الحكم، وهذا يتطلب اختيار استراتيجية قادرة على حشد المجتمع بمختلف ميوله وقدراته.

وتكمن خطورة العنف عمليًا في رفض الجماهير التجاوب معه في إطار قضايا الاستبداد الداخلي، بل ويتأثر الرأي العام سلبًا بالعنف الذي يمارسه المقاومون أكثر من تأثره بالظلم الواقع عليهم[1]، كما أن العنف يطرد الدعم المحلي والدولي بكل

(١) جان -ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوف الناس، بيروت، ١٩٩٩،ط١، ص٢٢٠.

obeikandi.com

أشكاله من ساحة المقاومة، كذلك يعتبر العنف هو الملعب الأفضل للخصم الذي يستطيع فيه حشد قواته.[١]

لكن اللاعنف لا يقف أعزل أمام قمع الخصم، حيث يمتلك استراتجيات لحشد الجماهير، واجتذاب الدعم، وسحب الخصم خارج ملعبه. ولعل جين شارب رأى من هذا المنطلق أن فاعلية اللاعنف مرتبطة بالالتزام بمسار اللاعنف والصبر عليه.[٢] وعدم الانسياق وراء استسهال بعض فصائل المجتمع للسبل الدستورية، أو استهزاء الحركات المتعجلة بفكرة النضال اللاعنفي وجدواه متجهة إلى العنف.[٣]

### ٣- الجاهزية لمواجهة القمع

إن مواجهة أسلحة العنف بأسلحة اللاعنف يخلق موقفًا معقدًا وحالة من عدم التكافؤ الاستراتيجي، فأحد الأطراف يعتمد النشاط اللاعنيف، والآخر يعتمد العنف، وتعتمد فرص نجاح اللاعنف على مدى التزام المقاومين بأسلوبهم الذي اختاروه، والتطبيق المحترف الواعي لوسائله، بحيث يرتد القمع العنيف على الخصم المعتدي،[٤] ويفقد النظام الديكتاتوري توازنه السياسي، ويتكبد خسائر فادحة

---

(٢) أحمد عادل عبد الحكيم، د.هشام مرسي، م/ وائل عادل، حرب اللاعنف الخيار الثالث، الدار العربية للعلوم – أكاديمة التغيير، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٤٨- ١٤٩.

2 Schock, Kurt (2005): Unarmed insurrections. People power movements in non-democracies, University of Minnesota Press, Minneapolis, MN, p. ٤٤.

(٢) ذكرنا في الفصل الثاني من هذا الباب أن اللاعنف المطلق مستحيل، فنادرًا ما حسمت الصراعات اللاعنيفة بدون أي استعمال للعنف، فقد يلجأ نشطاء اللاعنف فقط في المراحل النهائية الحاسمة عند استخدام وسائل التدخل المباشر إلى أشكال محدودة من العنف غير المسلح عند الضرورة وبحذر بالغ. وتظل السمة الغالبة للنشاط اللاعنيف أنه لا يرتكز على العنف. بعكس أسلحة العنف التي ترتكز في فلسفتها عليه، وسيظل مطورو أسلحة اللاعنف يسعون إلى إحداث ثورة في عالم المقاومة من خلال ابتكار أدوات تضاهي تأثير العنف من حيث التأثير في وعي الخصم، لتحرم العنف من التسرب إلى معاقل المقاومين.

4 Sharp, Gene (2005): The Politics of Nonviolent Action. Part Two: The Methods of Nonviolent Action, 8th edition, Extending Horizons Books, Porter Sargent publishers, Boston, pp.451- 453.

وتكاليف باهظة، تُفقد العنف فاعليته، وتعكس نتائجه. فحين يبلغ العنف منتهاه، ويستنفذ أعلى طاقاته، ويفشل في كسر إرادة المقاومة، ويظهر عجزه عن التحكم في مقاليد الأمور بعد أن استخدم آخر ما في جعبته؛ تبدأ هزيمته بتبدد شرعيته، وانكسار إرادته، ثم تضعف منظومته عندما يتخلى عن قواته، ويبحث في صفوفه عن كبش الفداء لتبرير الجرائم التي ارتكبها في حق المجتمع، فيصل إلى مستوى التفكك، وعدم القدرة على الاستمرار.

فإذا كانت سياسات الخصم غير مبررة، وجمعت حركة اللاعنف بين الاستراتيجية الواعية، والصورة الحضارية، وعدد النشطاء الكافي، ثم تمكنت في مواجهة القمع من المحافظة على ضبط النفس وعقدت العزم على المقاومة في مسارها المعد. فإنها تحقق إنجازات كبيرة، خاصة عندما يتسع نطاق التمرد.

وعندما يفقد النظام المبرر الأخلاقي لاستخدام القمع أمام حركة حضارية، فإنه حينها قد يتمنى أن تلجأ المقاومة إلى العنف[١]

حيث يمكنه التعامل معها وفق قوانين اللعبة التي يجيدها، وحشد المبررات المحلية والإقليمية والعالمية ضدها، وحين ينتهي النظام إلى استخدام القمع يكون دور المقاومة قد بدأ لإفقاد هذا القمع أثره.[٢] فتتخذ المقاومة من ترسانة أسلحتها المتنوعة ما يتناسب مع التحدي الذي تجابهه.

### ٤- العلانية[٣]

فجوهر اللاعنف هو العصيان. وتدريب الجماهير على العصيان يقتضي

---

(٢) قد تلجأ بعض النظم اللاأخلاقية إلى افتعال أحداث عنيفة مدبرة حتى تتمكن من وضع المبررات لاستخدام القمع.

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب حلقات العصيان المدني من إصدارات أكاديمية التغيير الباب السابع.

(٢) قد تلجأ حركة العصيان إلى السرية على مستوى بعض التكتيكات التي تقتضي ذلك، وليس على مستوى الاستراتيجية العامة. أي أن الأصل هو العلانية.

علانية العمل والاستعداد لدفع تكلفته. فالهدف هو حشد أكبر عدد ممكن من الجماهير للمشاركة في الأنشطة، والجمهور بصفة عامة لا ينخرط في أعمال سرية، لذلك فالعلانية تعد إحدى الركائز المهمة في أسلحة اللاعنف، التي تسعى إلى خلق حوار مع الجمهور.

وقد دافع مارتن لوثر كينج عن مفهوم العلانية عندما كان يخطط لتعطيل العمل في المؤسسات الأمريكية من خلال حملات العصيان المدني قائلًا: «**هذه المقاطعة يجب ألا تكون سرية أو في الخفاء، وليس ضروريًا أن نلبسها ثوب حرب العصابات، بل يجب أن تكون علنية وأن تقوم بها جماهير كثيرة دون لجوء لأي عنف**»[١].

كما أن نشطاء اللاعنف وهم يقومون بأنشطتهم في وضح النهار، فإنهم يسعون إلى إيقاظ ضمائر جموع المتفرجين، وانتزاع سكينة المجتمع المتوهمة، خاصة عندما تراهم وهم يواجهون عواقب أعمالهم على مرأى ومسمع من الجميع، وبنفس راضية. فبانتهاك قانون الصمت الجماعي يعكر المقاومون صفو الطمأنينة الاجتماعية ويثيرون الاستياء العام.[٢]

**٥- إدارة الحوار**

تعتمد فكرة أنشطة اللاعنف على خلق حوار مستمر بين المقاومة وجميع الأطراف[٣] المرتبطة بالصراع، فالأنشطة أبلغ من حديث اللسان، وإجراء نشاط

---

(١) جان -ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوف الناس، بيروت، ١٩٩٩،ط١، ص٨٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٧٥.

(٣) يشمل الصراع ضد الديكتاتوريات عدة أطراف:

**طرفي الصراع المباشرين**: النظام والمجتمع المقاوم (الحركات ومجموعات العمل والأحزاب.والأفراد. الخ)

**المجموعات**: وتشمل المجموعات والمؤسسات التي يعتمد عليها كل طرف من طرفي الصراع مثل الشرطة والجيش والموظفون المدنيون كجامعي الضرائب الخ، فكلها مجموعات يعتمد عليها النظام، وهناك مجموعات ومؤسسات أخرى يسعى طرفا الصراع إلى استقطابها إلى معسكرهما، كمؤسسات الإعلام =

يعني بداية حوار، تُنتظر بعده ردة فعل الأطراف، سواء بالتفاعل الإيجابي أو السلبي.

فإذا قرر أحد أعضاء المقاومة الخروج إلى الشارع للاحتجاج دون عنف، فقد بدأ حوارًا مع أطراف متعدة، وتشمل:

**حوارًا مع النفس**: حيث يحاور المقاوم نفسه ليحرر عقله ويكسر حاجز الخوف داخله.

**حوارًا داخل المقاومة**: حيث يدور حوار حول جدوى النشاط ومدى عدالة القضية.

**حوارًا مع الخصم**: بتأكيد العزم على المضي قدمًا حتى تتحقق المطالب.

**حوارًا داخل معسكر الخصم ذاته**: إذ يطرح التساؤل عن جدوى قمع جماهير عزل، وعن إيجاد بدائل للفعل القمعي، وفي مراحل لاحقة قد ينسحب

---

=والمؤسسات الاقتصادية ، حيث أن كلا الطرفين يستمد قوته من تلك = = المجموعات. وتشمل المجموعات والمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية.

**الأفراد**: وهم الأفراد ذوو التأثير الذين يمكن أن يشكلوا إضافات كبرى بانضمامهم إلى أحد طرفي الصراع. كالرموز المشهورة أو الشخصيات صاحبة الوزن الاعتباري في المجتمع.

**الطرف الثالث**: ونعني بها الأطراف الداعمة، داخليًا وخارجيًا.

**أما الطرف الداخلي فهو عموم الجماهير**: وهم القطاع الأكبر، وفي الحالة السائدة في النظم الديكتاتورية يكونون مطيعين للنظام، حتى وإن لم يعلموا أنهم بسكونهم يدعمونه.

**والطرف الخارجي**: يشمل الأطراف الخارجية الداعمة كالطرف العالمي والإقليمي الذي يشكل دعمه لأحد الطرفين فارقًا كبيرًا في الصراع.

ويستهدف نشطاء اللاعنف بأنشطتهم كل الأطراف، فيسعون إلى استقطاب أفراد من داخل معسكر النظام، ويكون لذلك تأثير بالغ في مسار المقاومة، إذ يضعف الخصم ويقوي المقاومة، واستقطاب المجموعات والأفراد، وإقناع عموم الجماهير بجدوى وضرورة التحرك، واستهداف النظام الإقليمي والعالمي ليوقف دعمه للخصم، وتحويله إلى المقاومة.

والنظام بدوره يسعى لتفكيك المعارضة، وإدخالها في دائرة ردود الأفعال، واستقطاب أعضائها، ثم استقطاب المجموعات والأفراد المؤثرين، وإقناع النظام العالمي والإقليمي بأهمية دعمه ضد المقاومة الإرهابية والمتطرفة، مستخدمًا في ذلك كل مقدرات الدولة وإمكانياتها.

أناس من معسكر النظام متجهين إلى المقاومة.

**حوارًا مع الجماهير**: التي تبصر هذه الجموع المستبسلة لا يُخرجها إلى الشارع إلا يقينها أنها ستنجح في تحقيق هدفها. كما يدعو الجماهير كي تتحاور مع نفسها وتحدد موقفها مما يحدث.

**حوارًا مع المجتمع العالمي**: الذي يرقب خطاب، وفكر، وسلوك المقاومة، ليحدد موقفه منها.

وبذلك فأفضل ما توصف به أسلحة حرب اللاعنف أنها عبارة عن أدوات لخلق حوار مكثف يشمل كل المجتمع، والحوار بمعناه الأعمق يشمل سلسلة الأفعال وردود الأفعال بين الأطراف المختلفة.

ويجب أن تُختار الحملات التي ستتم فيها الأنشطة بعناية، وأن توجه رسائل المقاومة إلى كل الأطراف، ولا ينبغي أن تتجاهل الأنشطة أي طرف من الأطراف، وكذلك ليس بالضرورة أن يستهدف النشاط كل الأطراف معًا في آن واحد.

وعلى المقاومة أن تبدع في إيجاد الخطاب والنشاط المناسب لكل طرف، بدلًا من استعداء كل الأطراف لعدم استطاعتها خلق رسالة وإبداع نشاط يؤثر في كل طرف، فالخاسرون ينطلقون من أن النظام عدو لأنه ديكتاتوري، والجماهير لافائدة منها لأنها سلبية ولا يمكن الاعتماد عليها في التغيير، والمجتمع العالمي ظالم لأنه يريد أن يرعى مصالحه دون مراعاة خاطر المقاومة، والوضع كله لافائدة منه لأن كل الأطراف لن تقوم بشئ ... وهكذا تعجز مثل هذه الحركات العبوسة عن إجراء حوار حتى ولو مع نفسها، وتبدأ نشاطها بروح يائسة، تلمسها باقي الأطراف وتقرر أنه ليس من الحكمة دعم هذا الطرف اليائس الخاسر.

### ٦- تحرير العقول والمشاعر

تسعى الأنشطة بالدرجة الأولى إلى مخاطبة العقل، وتحريره من أسر الخوف والعنف على حد سواء، وإقناعه عمليًا أن ثمة وسائل حضارية فعالة استخدمت تاريخيًا للتغلب على الديكتاتوريات، وأن هناك خيارًا ثالثًا غير الاستسلام أو اللجوء إلى العنف، عبر

معركة تحرير العقول المتميزة بالديناميكية التي تخضع فيها العقول لكل التأثيرات، فإما أن يرهبها وعيد الخصم وعنفه فتركن لليأس والعنف، أو تستميلها وعوده بالرخاء فتركن إلى الأماني والاستسلام، وإما أن يستهويها المستقبل والشكل الحضاري الذي تؤهلها له حركة المجتمع اللاعنيف، فلا ترضى إلا بالمقاومة بديلًا حضاريًا.

وكل نشاط – خاصة في بدايات الصراع- يخاطب العقل بذكاء، ليحرره من اليأس، ويؤكد لديه القدرة على الفعل. ولا يتم ذلك عبر الكلام فحسب؛ إذ القوة الأكثر تأثيرًا تكمن في الأنشطة الفعالة التي تحقق مكاسب مرحلية، مما تجعل العقل يتحرر من الأوهام التي تسكنه، فيكفر باليأس ويؤمن بإمكانية الفعل. ويوضح شافيز هذا الأمر قائلًا: «**الرجل الذي انضم إلى المضربين فكر كثيرًا قبل اتخاذ القرار، وفي اللحظة التي ينهض المزارعون وينفذون الإضراب لا يعودون كما في السابق بل تتغير طريقة تفكيرهم**».[١]

لذلك يعي النشطاء جيدًا أنه لا يكفي أن يرددوا بصخب «**نحن لاعنفيون**»؛ بل يجب أن ترى الجماهير وسائل فعالة قادرة على تحقيق أهداف المقاومة الجزئية المرحلية، وتغير أفكار الجماهير، هذه الوسائل الفعالة هي التي تحرر العقول عمليًا من وهم وجود الخطوط الحمراء الحصينة.

(١) جان –ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الناس، بيروت، ١٩٩٩،ط١، ص٢٢٨.

من هنا تطرح المقاومة الناجحة أهدافًا جزئية قابلة للتحقيق في بدايات الصراع، وتختار لإنجازها أنشطة مبدعة، ثم تحسن تسويق ذلك الانتصار – الذي كان يراه المخططون حتميًا، وهو هنا ليس انتصارًا على الخصم بقدر ما هو انتصار في معركة تحرير العقول.

وخطاب الأنشطة يخاطب المشاعر أيضًا، لذلك يجب أن يتشبع بالأمل والإيجابية، فمن العبث أن تخاطب مقاومةٌ جمهورًا -تريد إشراكه في معركة التحرير- متهمة إياه بالسلبية واليأس، ثم تشتكي بعد ذلك أنه لا يستجيب لندائها، فقد كرست هذه الصورة لديه فقعد عن الفعل، إن أنشطة حرب اللاعنف تبيع الناس الأمل وتكسوهم ثياب الاعتزاز بالنفس.

### ٧- الصورة الحضارية

وتعتمد أسلحة حرب اللاعنف كذلك على إبراز المظهر الحضاري الذي يؤثر في قطاعات واسعة من الجماهير،[١] ويرسم لها شكل المستقبل المنشود، ويقنعها بالتحرك من مقاعد المشاهدين إلى منصة الفاعلين. وينعكس هذا الشكل الحضاري في كل صغيرة وكبيرة في التكتيك المختار، بداية من طريقة وقوف المقاوم وزيه وهيئته، إلى العبارات التي يرددها واللافتات التي يرفعها.

هذا الشكل الحضاري يجعل الداعمين – على المستوى المحلي والعالمي- للنظام يتساءلون عن جدوى ومبرر دعم نظام يقاوم مجموعات ذات سلوك مقاوم أخلاقي راق، فهم أبعد ما يكونون عن الإرهاب الذي يحاول النظام الديكتاتوري وصمهم به.

---

(١) يبتعد النشطاء عادة عن الأشكال المتشنجة للتعبير عن المواقف – خاصة في بدايات الصراع، ويلجأون إلى الأشكال التي تعبر عن شكل المقاومة المستبشر بالمستقبل، فالنشطاء لم يأتوا ليعبروا عن حقدهم وكراهيتهم للجماهير، أو توجيه سيل من السباب البذيء الذي قد يدفع قطاع عريض من الجماهير للإعراض. لقد جاء النشطاء ليلتقوا بالجماهير ويديروا معهم حوارًا، فهم يمثلون مقاومة متفائلة وليست عبوسة.

والصورة الحضارية التي تغلف أي نشاط ليست استراتجية تضليل يمارسها المقاومون؛ ولكنها تعكس فهمًا أصيلًا لشكل المجتمع الجديد الذي يسعون إلى بنائه، وطبيعة الوسائل التي يجب أن تستخدم من أجل إيجاد هذا المجتمع، حيث تحترم فيه حقوق الإنسان وتشيد قيم العدل والحرية.

### ٨- تنبع من ثقافة المجتمع

فوسائل اللاعنف تكتسب فاعليتها باستثمار ثقافة وتقاليد وعادات المجتمع، وتحويلها إلى مادة فعالة لتصنيع سلاح اللاعنف، فمهندسو أسلحة اللاعنف يدرسون مناطق التجمعات وأوقات المناسبات، وطبيعة الأنشطة التي يمارسها الجمهور بشكل يومي، ثم يخلقون من هذه المادة الخام أدوات لخلق حوار مع الجمهور، مثل استثمار فكرة المسحراتي في بعض بلدان العالم الإسلامي، حيث يجوب الشوارع في شهر رمضان مرددًا بعض العبارات، واستثمار فكرة الباعة المتجولين والتنكر في هيئتهم وإجراء حوار مع الجمهور ...الخ. ويبرع مهندسو الوسائل في هذا التصنيع كلما زاد وعيهم بثقافة المجتمع، ولذلك فإن استنساخ وسائل تعمل بفاعلية في مجتمعات لا يعني بالضرورة أنها ستعمل بفاعلية في مجتمعات أخرى،[1] إذ ربما يلفظها المجتمع الوافدة عليه لاختلاف ثقافته. بل يجب أن يميز النشطاء كذلك بين بيئة وأخرى، وحي وآخر، وطبقة وأخرى، فلكل منها لغة وطريقة لإجراء حوار. وإذا كانت أسلحة اللاعنف أدوات حوار ولغة تعبير؛ فيجب أن تُنطق بلغة القوم الذين سيُجرى معهم الحوار.

---

(١) إن استخدام إحدى الوسائل التي يمكن وصفها بالشائعة في مجتمع ما قد يكون أقل تأثيرًا إن استخدم في مجتمع آخر يندر فيه استخدام هذا الأسلوب أو لا يعرفه أو يستسيغه على الإطلاق، فاستنساخ الوسائل من المجتمعات الأخرى لا يجدي نفعًا بالضرورة في كل الأحوال، ففي بعض المجتمعات استُخدمت وسيلة التعري من الملابس للتعبير عن الاحتجاج، وهو أسلوب لا يشجع الجماهير على المشاركة في كثير من المجتمعات الأخرى، بل يجعلها تنظر بازدراء إلى المحتجين.

**ليس هدف النشطاء إذن أن يعبروا عن قناعاتهم بالأسلوب الذي يروق لهم، إنهم يسعون لجعل الآخرين يشاركونهم هذه القناعات.**[١]

### ٩- الرمزية

على نشطاء حركة اللاعنف أن يدركوا فلسفة الرمزية في النشاط ، [٢] وتعني ببساطة: إن وظيفة الدولة لايقوم بها المجتمع، ووظيفة المجتمع لا تقوم بها جماعة ضغط أو حزب، ووظيفة الحزب لا تقوم بها مجموعة عمل أو أفراد. فعلى الفرد أن يقوم بعمل رمزي ليثبت للحزب والحركة إمكانية الفعل، وعلى الحزب والحركة القيام بعمل رمزي ليثبتا للمجتمع كله إمكانية الفعل.

وتستخدم الرمزية في مراحل الصراع الأولى، والتي يتفوق فيها النظام الديكتاتوري استراتيجيًا، فيركز النشطاء على القيام بالأعمال الرمزية الموجهة، التي تهدف إلى تأكيد إمكانية الفعل، وتوجيه رسائل للشريحة المعنية من المجتمع لتدعوها إلى القيام بواجبها. ومن أمثال الأعمال الرمزية سفينة كسر الحصار الإسرائيلي على غزة في عام ٢٠٠٨. فالسفينة لم تخرق الحصار بمعنى إيقافه، لكنها أوصلت رسالة رمزية أن العمل على كسر الحصار ممكن.

### ١٠- التنوع

فترسانة حرب اللاعنف تتعدد وسائلها، لتبدأ من وسائل المطالبة والاحتجاج والإقناع، والتعبير عن الرأي، وصولًا إلى وسائل اللاتعاون، وانتهاءً بالتدخل المباشر لتحقيق الحسم النهائي. وهي بذلك تمنح النشطاء خيارات لا حصر لها من الوسائل، عبر الدمج بين هذه المجموعات من الوسائل، كما يستوعب هذا التنوع في

---

(٢) جان -ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الناس، بيروت، ١٩٩٩،ط١، ص٢٢٤.

(١) انظر مفهموم الرمزية من أساسيات حرب اللاعنف في كتاب حرب اللاعنف أحد إصدارات أكاديمية التغيير، الطبعة الأولى، ص١٥٤.

الوسائل شتى مهارات وقدرات المجتمع بحيث يجد كل فرد فيه دورًا يقوم به، كما يحول هذا التنوع دون إصابة النشطاء و الجمهور بالملل من تنفيذ نشاط بعينه بصفة مستمرة، كما يسمح هذا التنوع بإمساك المقاومة دائمًا بزمام المبادرة ومواجهة الخصم في الميدان الذي لا يتوقعه.

obeikandl.com